المحاضرة الثامنة: الخلافة الاسلامية على العهد الأموي

أولا : قيام الخلافة الأموية ونظام الحكم

برزت شخصية معاوية بن أبي سفيان السياسية والحربية منذ عهد الرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام ثم وعهد خليفته أبي بكر الصديق حيث ولاّه الأخير على دمشق بعد وفاة أخيه يزيد، وازادت خبرة معاوية وحنكته في الحكم على عهد عمر الذي أكمل له ولاية الأردن، ولما قُتل عثمان رأى أن لديه من القوة ما يمكنه من الأخذ بثأر الخليفة، ودخل على ذلك في صراع مرير مع عليّ إذ طالبه بالقصاص قبل البيعة، وكانت أهم محطات ذلك الصراع معركة صفين، والتي إن كانت الغلبة فيها لعليّ إلا أن الأحداث بعدها ذهبت لصالح معاوية الذي أخذ موقفه يتعزز وقوته تزداد، في مقابل ضعف جيش علي وانقسام أصحابه، ولما قتل عليّ وخرج ابنه الحسن إلى المسجد الجامع ليبايعه الناس، بويع في ذات الوقت لمعاوية بالشام ببيت المقدس ودُعي بأمير المؤمنين.

- **تنازل الحسن بن علي لمعاوية رضي الله عنهما (نهاية الفتنة وإعادة توحيد الامة)**

لم يستخلف علي رضي الله عنه أحدا، ولما أرادوا أن يبايعوا ابنه الحسن من بعده واستشاروه في ذلك وهو على فراش الموت، قال لهم : "ما آمركم ولا أنهاكم أنتم أبصر، وأترككم كما تركككم رسول الله"، وبعد موته اتجه الناس إلى الحسن وبايعوه وكان قيس بن سعد بن عبادة أول المبايعين، وبقي الحسن في الخلافة ستة أشهر، وكان قد اشترط عليهم في البيعة أن يحاربوا معه من حارب ويسالموا من سالم فبايعوه على ذلك، ولكن حين سمع ببيعة أهل الشام لمعاوية خليفة للمسلمين، ركن إلى الصلح وآثر اتفاق المسلمين وتوحيد كلمتهم، ودعا معاوية إليه فوافق وتنازل له

على الخلافة في 25 ربيع الأول عام 41هـ، ودخل معاوية الكوفة، وانتقل الحسن والحسين إلى المدينة، وبذلك الصنيع من الحسن صدق قول رسول الله فيه: "ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين"، فنفذ الميعاد، وصحّت البيعة لمعاوية.

- **معاوية وتحويل نظام الحكم من الخلافة إلى الملك**

تغير المجتمع الاسلامي، وانتقل الناس من حياة الزهد والتقشف إلى حياة البذخ والترف، فنشأ جيل غير جيل الصحابة، لقد دافع الحكم الراشدي عن نفسه في الجمل وصفين، لكن الزمن تغير ولئن انتقل الحكم إلى العهد الجديد على يد معاوية فإن روح الخلافة استمرت عند رجال في مضمونها الحقيقي، متصدّيه معارضة، و على ذلك انتصرت أسرة بني أمية على الكل، وأصبح الملك وراثي فيهم، إذ بعد تنازل الحسن عن الخلافة أصبح معاوية خليفة للمسلمين بإجماع الأمصار الاسلامية، ومنذ تلك اللحظة أصبحت دمشق عاصمة الدولة الاسلامية، وقد تلاءم وضعها الاقتصادي والاجتماعي مع التطور الذي طرأ على الدولة العربية الاسلامية، فبفضل موقعها الاستراتيجي المتوسط، ومركزها الاقتصادي النشيط أصبحت دمشق مركز الثقل في العالم الاسلامي، وعند تسلّم معاوية مقاليد الخلافة أخذ يعدّ العدة لحصر الخلافة في البيت الأموي وجعلها وراثية، إذ حين استقامت له الأمور وخضعت الأقاليم، جاءه عرض المغيرة بن شعبة واليه على الكوفة، وكان عرض تزلّف، فقد أوحى المغيرة ذلك إلى ابنه يزيد قبل أن يكلم الخليفة معاوية قائلا له: "إنه قد ذهب أعيان أصحاب النبي وآله وكبراء قريش وذووا أسنانهم، وإنما بقي أبناؤهم، وأنت من أفضلهم وأحسنهم رأيا، وأعلمهم بالسنة والسياسة"، فأُعجب بقوله، ثم اتجه إلى معاوية فقال له:" قد رأيت ما كان من سفك الدماء والاختلاف بعد عثمان، وفي يزيد منك خلف، فاعقد له فإن حدث بك حادث كان كهفا للناس، وخلفا منك، ولا تُسفك دماء

ولا تكون فتنة"، ثم ضمن لهما المغيرة مبايعة الكوفة والبصرة. لينتهي بعد ذلك عصر الخلافة ويبدأ عصر الملكية الاسلامية.

- **مراحل الحكم الأموي وتنظيماته الإدارية**

يمكن تقسيم الخلافة الأموية إلى قسمين :

- **عصر الحكم السفياني (41هـ - 64هـ/661-683م)**

وهو نسبة إلى أبي سفيان صخر بن حرب الأموي، وخلال هذا العهد تولى الدولة الأموية ثلاثة من البيت السفياني أولهم مؤسس الدولة معاوية بن أبي سفيان(41-60هـ/661-680م) وثانيهم ابنه يزيد(60-64هـ/680-683م) والثالث معاوية بن يزيد الذي حكم عاما واحدا من ربيع الأول إلى ذي القعدة من عام 64هـ

- **عصر الحكم المرواني (64هـ - 132هـ/683-750م)**

وهو نسبة إلى مروان بن الحكم، وخلال هذا العهد تولى الدولة الأموية بدمشق إحدى عشرة خليفة من الفرع المرواني، أولهم مروان الأول وآخرهم مروان الثاني، الذي سقطت الدولة الاموية في عهده سنة 132هـ/ 750م، وسنحاول باختصار عرض أهم أعمال هذا الفرع وإنجازاته، مبرزين عوامل ضعف الدولة في عهد أواخر ملوكها، ومن أعدل خلفاء هذا العهد عمر بن عبد العزيز.

ومن أهم أسباب سقوط الدولة الأموية:

- تولية العهد لاثنين مما يثير النزاع والشقاق بينهما فينقسم بذلك البيت الاموي الواحد.
- ظهور روح العصبية: قيسية كلبية ويمنية مضرية.

- انغماس بعض الخلفاء في الملذات واللهو والترف، ومن ثَمّ تدخل النساء والموالي في وحتى القيّنات في الحكم كما هو حال بالنسبة ليزيد بن عبد الملك وابنه الوليد.
- تعصب الأمويين للعرب وبعث روح الشعوبية في المجتمع، وقد بدأت باللسان والأقلام، وانتهت بالأسنّة والرماح.

وعلى ذلك استغل العباسيون أخطاء الأمويين وانتهزوا فرصة ضعفهم وأسقطوا دولتهم سنة 132هـ/750م، ليفرّ الأمويون إلى الأندلس بقيادة عبد الرحمان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الداخل الملقب بصقر قريش، وهناك بالأندلس يعلنون بعد ست سنوات من سقوط دولتهم بدمشق أي سنة 138هـ على قيام دولتهم الجديدة.

مصادر المحاضرات

- ابن حزم: جوامع السيرة
- ابن حيان(أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي السبتي ت 354هـ/965م): السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، تحقيق سعد كريم الفقي، دار ابن خلدون، الإسكندرية، د ت
- ابن خلدون: المقدمة، دار الفكر، بيروت، 1428هـ/2007م.
- ابن كثير: البداية والنهاية
- أبو بكر ابن العربي: العواصم من القواصم.
- أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري(ت256هـ): صحيح البخاري
- البلاذري: أنساب الأشراف، ج3
- الطبري، تاريخ الطبري

مراجع المحاضرات

- الامام الغزالي: فقه السيرة
- حيم كاظم محمد الهاشمي وعواطف محمد العربي شنقارو: الحضارة العربية الاسلامية، دراسة في تاريخ النظم، الدار المصرية اللبنانية، المكتبة الجامعية بليبيا، 2002.
- خالد كبير علال: بحوث حول الخلافة والفتنة الكبرى، كنوز الحكمة، الجزائر، 2009،
- شوقي أبو خليل: في التاريخ الاسلامي.
- صفي الرحمان المباركفوري: الرحيق المختوم.

- عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، مصر،
- العقاد: العبقريات الاسلامية،
- -محمد سليم العوا: في النظام السياسي للدولة الإسلامية، دار الشروق، مصر، ط8، 2006.
- محمود شاكر: التاريخ الاسلامي، السيرة، ج2.
- محمود شاكر: التاريخ الاسلامي، ج3/
- -هشام جعيط: الفتنة؛ جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر، دار الطليعة، بيروت، ط4، 2000،
- هشام جعيط: جدلية الدين والسياسة،
- يوليوس فولهوزن: أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام؛ الخوارج والشيعة، ترجمة عبد الرحمان بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1958،